

مكتبة المصطفى

١ - حضارات الهند

تأليف غوستاف لوبون - رجم الاستاذ طاهر زعبي - ١٩٣٢ - ٤٠٠ ص من الطبعة الكبيرة
مطبعة عيسى الزاوي المصنفة

له دور من قال : الهند من آسيا قلبها النابض . فهي كمن تدعو عن الخطر شديدة بالتقلب تسري فيها شرابين الحياة من خلال أسهرها وتبدو مجاوشها في رديتها ووهاددا رطاجها ، وتنبض فيها الحياة في مصانعها وحقولها ، وتنبض منها الفلسفات والديانات فتغزو بقية القارة الآسيوية .

فالهند شعب ، أو إن همت العوالم خليط من شعوب ، انتظمت بلاد مترامية الأطراف عرضاً ، شاهقة الجبال علواً ، أسبغت عليها الضيعة من صورها شتى ، ووهبتها من ضروب الطقس والمناخ أروافاً ، وأجرت فيها من الحيوان الشئالي والوحشي ما لا يكاد يقع في نطاق حصر ، وأماورتها من الحضارات صنوف تباينت مظاهرها وأسهمت في أحداث التاريخ بتسعد كبير لمراقبتها روفرة خيرها وشرها وخسب تفكير أبنائها .

هذه القارة التي نجد فيها بدياً وسوداً ، جبالاً يكفل خامتها التلج ، وبقاعاً يفترسها لغى الحر ، مصانع تدنو بالحديث من الآلات ، وحقولاً تروى وتزرع بالقطرة والبدوة .

هذه القارة الغائنة وجدت في السكاتب الفرنسي الكبير الدكتور غوستاف لوبون صدوقاً كبيراً وطالماً عدته اليها كنوزها الأدبية والتاريخية . فكشف عن العناية بدروس شؤونها الجغرافية والتاريخية والأدبية والفلسفية والدينية والأنتولوجية والسيولوجية والنباتية والعنصرية والمهارة والعنصرية والخلقية دراسة محكمة الأركان ، دقيقة الجوانب ، فيحة المجال ، لا رائد لها إلا الصدق والأصالة والأخلاص ، وتستطاع هذا العالم اللد أن يجمع أضراف موضوعه - طريقها وتالدها - في صغر تباير جليل سيني على الدهر خالماً

ذا كراً هـكتور لوپون فضله القوي أسداه للهند وأثره الذي زیده الأيام قسراً ومقتناً .
فكتاب « حضارات الهند » كتاب جعل من المفروضات الجغرافية والتاريخية وما
يتصل بها ، دُنياً صرفاً يخضع لجمال الأسلوب وحسن الرواية وطرافة العرض ، تتراءى عن
ضخامته فلا ترى نفسك إلا وقد غدوت معجباً بالهند وأهلها ، ملتماً بحضاراتها
وفلسفاتها ، مفتوناً بالهكتور لوپون رجل القلم والعقل والوجدان .

وإذا كنا قد أجزلنا هـكتور لوپون نساءً موفوراً وأطربنا عملاً جليلاً يسبح أن
ينعت بأنه « كتاب العمر » — وإن كان لوپون أصدر كتباً أخرى يفتح أن يخلد ذكر جعفر
منها ذكرى صاحبه — فإن مثل هذا الثناء ويزيداً عليه ينبغي أن يوجه إلى الأدب الكبير
العلامة الفيلسوف الأستاذ عادل زعيتر . فقد نبرى هذا الكاتب المعكسر لكتاب
« حضارات الهند » ومضى يترجمه معتزلاً الدنيا وأناسيها ، آمراً نفسه في حجره وسيداً
واستطاع بعد جهاد طويل اشترك فيه الثمن والميتان والأصنام والحراس بأسرها ،
أن ينهي هذا العمل الجبار ، وبذلك شوكة الترجمة ويخضع هذا الكتاب الفرنسي للمرة
اللغة العربية ، ويجعل من السفر العربي ندماً لقرينه الفرنسي ، لا يقل عنه دقة ولا أمانة
ولا إخلاصاً ولا دوعة عرض ولا بياناً ، فنظم لغة الضاد بسدوره مصنفاً فريداً يشهد
للأستاذ زعيتر بصيرته في فن الترجمة وبجلده على مراسم هذا الفرع المفضي من فروع الأدب
وكلمة حق لا يصحني إلا أن أقولها — غير متأثر بموايل الصداقة التي تربطني بعادل بك
زعيتر — وهي أن الأستاذ الكبير عادل بك أسدي بترجمة هذا السفر وما سبقه من أسفار
كثيرة ما لا ينسى لغة الضاد ، فقد غذأها بمكتبة بفتحها وقضيتها فثارت ببلهستها
وتعد ذخيرة ذات تفرّد ما كان يمكن لفرد أن يأتيها لو لم تجتمع له عوامل الثناء في العلمي
والطوية المفرطة والتفصيص غير المحدودة ، والصبر الطويل . وحمدي أن أذكر في هذا
الصد أن « عناد » الأستاذ زعيتر — ولا أجد كلمة تصّر عن مقصدي أبغ من كلمة « عناد » —
كاد يكتفه حياته مرّين ، فقد تعرض في أثناء نبوته بترجمة هذا السفر لأزميتين في انقلب
في يومين متتالين لم يتفذه منهما سوى مرحة إنسية ومكرمة من رب الكون .

ولا أحسب أن كلمة ثناء مني — مهما سخوت في صوغها — بقادرة على أن تفي الأستاذ
زعيتر ببعض ما يستأهله بحق من تقدير وإطراء ، لأن هذا الصرح الشامخ ما ينبغي أن
يلقى هذا الثناء وهذا التقدير من محبب وأجبال لا من أفراد وآحاد .

٢ - تجديد العربية

مبحث تصحيح وإقية بمطالب العلوم والفنون

للإستاذ اسماعيل مطهر - ٨٠ صفحة من الحجر المتوسط - مكتبة النهضة العربية

هذا كتاب في صفحات قليلة ولكنه كتاب خليق بالفكر والإيمان في المراجعة . فالأستاذ اسماعيل مطهر يروم أن يدلل أمام اللغة العربية كلت الأوجه التي يتداولها رجال العلم ، حتى يصبح لكل اصطلاح علمي غربي مرادف له في اللغة العربية ، تكتمل له صفات : سهوله النطق وأداء المعنى من أيسر طريق وأقربه ، وقلة حدة الأحرف ويدهو الأستاذ مطهر إلى تغذية اللغة العربية بكل ما من شأنه أن يجعلها وإقية بمقتضيات العلوم والفنون ، قائلاً بنجحت الكلمات إذا كان النجحت مفيداً ، وبالتعريب إذا تبين أنه أحسن سبيل ، وبالافتقار (وهذه كلمة من ابتداعه) إذا أدى المرادف ، وبالتركيب المرجحي إذا سلس أفعاله الطريق .

وهناك من يعترضون على هذا المنهج الجديد الذي طلع به الأستاذ مطهر في كتابه « تجديد العربية » فيذهب بعضهم إلى مجازة كل ما لم يرد في القواميس والمعجمات ويند كل ما لم تذكره أمهات الكتب العربية القديمة ، ولكن الأستاذ مطهر يرد عليهم بقوله أن العرب - حتى أوضعهم ثقافة وأُفرجهم إلى الفطرة - ابتدعوا كلمات عربية بالنجحت والتعريب ، فكيف ينبع لهمؤلاء شيئاً ونحرمه على أنفسنا في عصر تعين علينا فيه أن نواجه مطالب العلوم والفنون الحديثة ، فاللغة العربية - على حد قوله - ملك للذين ينطقون بها ويؤدون بها أغراضهم فلا ينبغي أن نجعل حوزها حرمة تمنعها بالحدود والتباعد . اللغة العربية غنية بالأصول ، وقد لا تعدلها في اللغات لغة لها مثل ألسانها وشجوها ، فلم تضيق على أنفسنا الخناق ونلزم توقعه الرجعية .

وقد مثل الأستاذ اسماعيل مطهر لكل من طريقة جديدة من طرق تغذية ألساننا بالكلمات العلمية بأمانة كثيرة حالفه الترفيق في جعلها . وأعتقد أنه إذا فرغ قريباً من أعداد المعجم العلمي الذي وقت على وضعه شطراً كبيراً من جهده ووقته وتفكيره ، فكانت هذه الخدمة الأدبية العلمية من خير ما يباهي به عرب القرن العشرين .

والواقع أنني حصلت من هذا الكتاب الموجز كثيراً مما كنت أفكر إليه ولست أدري لم لا ينتفع الجميع الثغوي بهذه البحوث الجلية فهي مما يتفق مع رسالته ويوافق الهدف الذي أنشؤا لتخفيفه

٣ - الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي

تأليف الدكتور محمد البهي - ٢٩٢ صفحة من الحجم المتوسط - دار احياء الكتب العربية
جميل أن ترى المكتبة الفلسفية العربية تزداد في كل يوم عمقاً واتساعاً وعمقاً
المشتغلون بالفلسفة يفتنونها في كل يوم بزيادة وفير ومحصول خصيب .

ومن الذين اشتروا في النهضة الفلسفية الحديثة الأستاذ الدكتور محمد البهي أستاذ الفلسفة
في كلية أصول الدين فأصدر كتاباً في جزأين عن « الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي »
يتضمن تحليلاً وافياً للفلسفة عند المسلمين وتأثرهم بفلسفة الاغريق واتساع أفق تفكيرهم
لقبول الفلسفة إلى جانب الدين بحيث لا يبين تمارض بين الاثنين ، ولا يجب أحدهما الآخر .

ومرتة هذا الكتاب أنه مدون بقلم أستاذٍ قدبر درس الفلسفة في ألمانيا وتخلع من
فروعها . فأتاحت له معارفه هذه ، ومطالعته لأراء الغربيين الذين كتبوا عن فلاسفة
المسلمين ، أن يحسن الرد على تلك الآراء إذا أس منها مجاهدة لتحقيق أو انحرافاً عن القصد .

ولست أكنم عن الدكتور البهي أني كنت أتعثر كثيراً في تلاوة كتابه هذا وما أدري
أرجع هذا إلى قصور في ثقافتي الفلسفية - وهي لا ريب قاصرة - أم إلى إسهام في بعض فصول
الكتاب مع جزالة ما استخدم فيه من كلمات . وللتعميل أورد الفقرة التالية من الكتاب :

« وجود العالم ، إذا كان أصله الامكاني ، وكان هذا الوجود طارئاً عليه وليس ذاتياً له ،
مصناه إذن تحقيق « ماهيات » (أنواعه) وميروزتها « هويات » بفعل ما وجدده على
سبيل الحقيقة من ذاته ، وهو واجب الوجود » (١)

فهذه المبارة - ولها شبيهات كثيرة متفرقة من كتابات هبة يسيرة مفهومة - ولكن تركيبها
مما - بحسب ظني - فيه اضطراب يجعل المعنى يشبه على القارئ ويضعف بين أطوار الاضطراب .
والدكتور البهي يبالغ في مفرد هذا موضوعاً خاصاً ، لا عاماً ، وهو الجانب الإلهي

من التفكير الإسلامي ، ولكنه مع ذلك وجد متمتع البحث أمامه فسبحاً يستوعب مجلدين
من كتاب صفحاته تزيد على صحت مئة ويمدق قراءه بأن يتضمن مجلد ثالث يتناول موقف
رجال التصوف ورجال الاعتزال والأشعرية من علماء الكلام .

وفي الختام يخلق بنا أن نعرب من الغمطنا لتقدم نهضة الفلسفة في مصر تنديماً يشجع
أمثال الدكتور البهي على التوفر على دروسها والتأليف فيها ، ولن يمضي بأنقضاء الله وقت طويل
حتى يكون في مصر فلاسفة معاصرون ذوو مذاهب فكرية جديدة تزداد أصدائها في

الغرب والشرق ويتجاوز ترجمتها في ربوع العالم .
وديع فلسطين